



ثمة مآسٍ كثيرة ستكتشف تدريجياً عن الشهور العشرة التي أمضتها مدينة تدمر تحت سيطرة تنظيم «الدولة الإسلامية» «داعش»، ومنها الإعدامات التي ارتكبت في حق مدنيين بقوا في بيوتهم، ربما لأن معظمهم لم يستطع المغادرة في الوقت المناسب، أو لأنهم اختاروا عدم الرحيل ومنهم عالم الآثار خالد الأسعد الذي قتله «داعش» بقطع رأسه وهو البالغ ثلاثة وثمانين عاماً، وكانت تلك واحدة من أبشع جرائمهم، وقيل: إنهم أعدموه لأنه لم يرشدهم إلى كنوزٍ أو مخابئ للذهب كانوا يبحثون عنها.

بعد طرد «داعش» من تدمر ثار جدل إعلامي حول المعركة التي دعمت بقصف روسي كثيف فيما كانت قوات تابعة للنظام السوري وميليشيات موالية لإيران تتقدم براً، ومرد الجدل إلى أسئلة طرحت نفسها عند سقوط تدمر في أيدي التنظيم ثم بعد استردادها منه، وفي تلك الأسئلة تكمن ألغاز علاقة ملتبسة ومشتبه بها بين النظام و«داعش»، فالطرفان تواجهان في أكثر من موقع، إلا أن حالات التنازع والتنسيق بينهما ظلت لافتة، وبعضٍ منها موثقٌ في مراسلات للنظام مع أجهزته وووّقعت في أيدي فصائل معارضة.

كان التعليق الشائع غداة سقوط المدينة وبعد استعادتها، أنها تعرضت لعملية «تسليم وتسليم» ذهاباً وإياباً بين النظام و«داعش»، هناك من يدحض هذا الإدعاء بقوله مثلاً: إن السلوك العام للنظام لا يشي به، غير أن وقائع مشابهة بيّنت أن قوات النظام سلمت مثلاً موقع بينها منفذ حدودي لأكراد «حزب الاتحاد الديمقراطي» الذي كان ولا يزال يعادى المعارضه وينسق مع الأجهزة، كما أن شهوداً عديدين نقلوا واقعة تسليم المركز الحكومي إلى «داعش» في الرقة، وكذلك حصل في أكثر موقع (منها أعزاز) أن وحدات «الجيش السوري الحر» اضطررت للانسحاب بسبب كثافة القصف النظامي عليها، وما أن توقف القصف حتى دخل مقاتلو «داعش» ليستولوا على المكان.

وبالنسبة إلى تدمير لم يتَّبَعَ الخبراء العسكريون رواية المعركة بسبب طبيعة المكان وظروفه القتالية؛ إذ كان بإمكان حامية المدينة أن تدافع عنها وتحبط أي هجوم عليها؛ لأن لديها أفضلية على مهاجمين كان عليهم أن يقطعوا مسافات طويلة على طرق صحراوية مكشوفة، ولم يحصل سلاح الجو التابع للنظام آليات «تنظيم الدولة» تخفيفاً للضغط على قوات البرية التي ردت هجوماً أول لـ«داعش» الذي ما لبث أن استقدم تعزيزات ليتمكن من دخول المدينة فيما كان قوات النظام تشرف على نقل مئات القطع الأثرية لـ«إنقاذها» من التدمير، وحين طرد «داعش» قبل أيام ذُكر أنه استطاع الانسحاب ونقل أسلحته الثقيلة على تلك الطرق المكشوفة، دون أن يتعرّض لأي قصف روسي.

عدا معلومات كثيرة متداولة عن المتاجرة بالآثار المهرّبة أسوة بالنفط، شكلت تدمير نموذجاً لاستثمار النظام في وجود «داعش» فيها وفي طرده منها بإدعاء أن المشكلة هي مع الإرهاب، وأنه الجهة الوحيدة القادرة على ضرب الإرهاب، وبذلك شكلت استعادة المدينة فرصاً عديدة:

أولها أن ضرب «داعش» ليس انتهاكاً للهدنة الحالية لكنه يوفّر للنظام وروسيا وإيران إمكان استئناف استراتيجية استعادة السيطرة.

ثانية دعوة النظام أميركا للانضمام إليه مع روسيا في «محاربة الإرهاب»، وثالثها دعوة بشار الأسد إلى تغيير مفاهيم «الانتقال السياسي» في مفاوضات جنيف، بالاستناد طبعاً إلى «انتصاره» في تدمير.

العرب القطرية

المصادر: